

من أسلم من أهل الغرب حديثاً أراء وافاق

الدكتورة انكه بوزنيته

كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية. جامعة يانتة

لا توجد أرقام رسمية ثابتة وموثقة عن عدد المسلمين في الغرب، وأنا أقصد البلاد الأوروبية والولايات المتحدة. وتتراوح الأرقام المذكورة بين 13 أو 14 إلى 20 مليون مسلم في أوروبا و6 ملايين في الولايات المتحدة(1)، ولعل العدد الحقيقي أكبر، لأن الإحصاءات غير دقيقة في هذا المجال. ومن المعروف أن معظم هؤلاء المسلمين المقيمين في أوروبا جاءوا في إطار الهجرة من المستعمرات السابقة أو للعمل في مصانع الغرب أو للدراسة في الجامعات الغربية. أما الولايات المتحدة، فلا يفرق بين الساكن الأصلي والمهاجر من حيث تاريخ البلد، وللمعظم المسلمين جنسية البلد (2).

من المعروف أن الإسلام هو الدين الأسرع نمواً في العالم، وقرّر عدد المسلمين الجند في العام 1999 بـ 135000 شخصاً سنوياً في الولايات المتحدة فقط، وارتفع هذا العدد كثيراً في السنتين الماضيتين(3). أما أوروبا، فتسجل البلديات البريطانية اسم "محمد" للمولودين أكثر من أي اسم آخر، وأعلنت الكنيسة الإنجليزية تخوفها من انخفاض عدد التابعين لها أمام عدد المسلمين إن استمرت حركة الدخول للإسلام(4).

فبعض الأسماء لأعيان الغرب الذين أسلموا من خلال القرن الماضي معروفة: كمحمد أسد، ناصر الدين دينية، يوسف إسلام، مراد هفمن، روحية جارودي وغيرهم. فقد وجد هؤلاء اهتماماً كبيراً لشهرتهم في المجتمعات الغربية وتفوقهم في مجال العلم والفن والثقافة قبل إسلامهم وبعده. وفي الحقيقة، فقد كان هناك دائماً عدد معين من أهل الغرب الذين سخرت لهم الفرصة للتعرف على الإسلام والذين دخلوا الإسلام عبر التاريخ، ولكننا بقيت حوادث فردية بالنسبة للحركة المعاصرة. أما مجموعات المسلمين المعاصرين من أصل غربي، فقد

من أسلم من أهل العرب حديثاً - آراء وآفاق

اعتبرت أفتية من بين الأقلية المسلمة ولم تواجه اهتماماً كبيراً إلا في السنوات الماضية لما كثر عدد الداخلين في الإسلام مع زيادة مترامنة في الأزمات الدولية التي جذبت أنظار أهل الغرب إلى الإسلام.

و يواجه هؤلاء المسلمون الجدد أسئلة ورغود أفعال من طرف الغربيين تتيم عن استغراب وعدم استيعاب لهذه الظاهرة:

و ما الذي يجعل إنساناً تربي، في نظرهم، على الثقافة والحزبية الغربية، يقتنع بهذا الدين الغريب المتعصب والمتخلف، وخاصة النساء منهم؟ وي طرح كثير من المسلمين الذين ولدوا من والدين مسلمين وتربوا على الإسلام هذا السؤال: كيف وجد هؤلاء الطريق إلى الحق رغم البيئة التي يعيشون فيها، ورغم الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين، ورغم الواقع الاجتماعي اليوم؟ يحاول هذا المقال الإجابة على بعض الأسئلة حول المسلمين الجدد في الغرب من حيث:

أ - الصورة المهيمنة من الإسلام والمسلمين والتي تمثل الحاجز الرئيسي للتعرف على حقيقة الإسلام، جذورها ووظيفتها في الواقع الاجتماعي للبلاد الغربية.

ب - الأسباب والبواعث التي تجعل الإنسان يتجاوز هذه الصورة وأحكامه المسبقة، والطرق والظروف التي تؤديه إلى دخول الإسلام. ولا يتناول هذا الفصل مسألة الهدي والضلال وإنما اقتصر على أحوال الإنسان المباشرة.

ج - تبادل الحضارة، ويتناول هذا الفصل: أولاً، ردود أفعال في البيئة المحيطة. وثانياً، التنق في الدين الإسلامي، أفاق وإشكاليات.

د - الخاتمة: مكان المسلمين الجدد في الأمة الإسلامية.

و استعنت من خلال البحث بسير ذاتية لبعض المسلمين الجدد نموذجاً (5).

أ - صورة الإسلام في الغرب، جذورها ووظيفتها

تمهيداً للعناية بأسباب النحول للإسلام، لا بد من بعض الكلمات حول واقع المسلمين في الغرب، ولا أريد أن أعالج وضعية المسلمين في الغرب ذاتها من حيث ظروفهم السياسية والاجتماعية، بل من حيث إنراكيهم من قبل المجتمع و الرأي العام وتأثير هذا الإدراك على واقعهم. تمثل الصورة السينة للإسلام والمسلمين في الغرب جزءاً مهماً من هذا الواقع الذي يواجهونه يومياً: فنبلي

معاملة غير المسلمين تجاه هذه الأقلية المسلمة في العلاقات الشخصية والإدارية والقانونية والتعليمية ومؤسسات الحياة العامة في إطار التعامل على مفاهيم خاطئة ومتعصبة. ما هذه الصورة، وما وظيفتها؟

البحوث حول صورة الإسلام في الغرب من تأليف المسلمين وغيرهم متعددة(6)و. تتفق في أن لصورة الإسلام في الغرب جذورا تاريخية عميقة وأسبابا ووظائف معينة. يذكر الدكتور عبد القادر طاش في كتابه "صورة الإسلام في الإعلام الغربي أن المراحل التي مرت بها العلاقة التاريخية والحضارية بين عالم الإسلام والغرب أربع، وهي: 1- الفتوحات الإسلامية عبر البحر المتوسط، 2- الحروب الصليبية، 3- الغزو الاستعماري، 4- المرحلة ما بعد الاستعمار(المباشر)(7).

ويبدو أن الصورة السينة عن الإسلام نشأت لما طير الإسلام كمنافس للكنيسة، وعندما اعتبر المسلمون بربرا متوحشين داخلين البلاد الأوروبية ووبأ من أوبئة الزمن بدأ رجال الكنيسة والأمراء الأوروبيون يرسمون صورة الإسلام كتشويه ووسواس السحر مع نمو أهمية الإسلام عالميا(8). وزادت هذه الصورة تشويها وحادثة لما بدأت الحروب الصليبية، فخطبة البابا أوربان سنة 1095 ميلادية بمناسبة ما أعلن به تحرير البلاد المقدسة من أعداء المسيح معروفة لنشر الحقد على الإسلام والمسلمين وتحريف الحقيقة التاريخية(9)، ولم تقف هذه الصورة حيوتها في الأدب والاعاني والتخصص الأمثال الشعبية، وظلت في عمق ذاكرة الشعوب الأوروبية إلى اليوم. هذا ولم تختلف هذه الصورة عند الفرق المتنوعة في تاريخ الفكر الغربي: فقصور لوتر، مصلح الكنيسة الكاثوليكية، ومؤسس الكنيسة البروتستنتية، لا تقل تشويها وحادثة عن صورة الآخرين. وهو الذي وصف المسلمين كقوم ليست لهم قابلية الهدى قط(10).

ومن الملفت للنظر أن الغرب حافظ على هذه الصورة السينة التي أصلها عند رجال الكنيسة والأمراء المسيحيين حتى بعد تدهور قوة الكنيسة وتفصال الدين عن الدولة، ورغم التغيرات الجذرية التي مرت بالمجتمعات الغربية حضاريا وثقافيا وسياسيا. ولا يختلف رأي ولتير وهو صاحب "الاستنارة الغربية" اللادينية مثلا عن صورة الكنيسة التي قام بهجومها، ويختلف هذا التشويه تماما عن محاولات تشويه صور شعوب أو أديان أخرى(11). وهذه ظاهرة إنسانية فريدة من نوعها بلا شك(12).

قد بحث الدكتور إدوارد سعيد في هذه الصورة ووظيفتها من خلال الثقافة الغربية ووجد أن مجموعة الصور والأراء تُجاد الشرق والإسلام عبارة عن بناء شرق متميز يعنف وعدم العقلانية والسيوآت لا وجود له في الحقيقة التاريخية، وأن هذه الصورة استعملت لتبرير أغراض استعمارية(13).

فالوظيفة التاريخية لصورة الإسلام في الغرب واضحة. ومن الملفت للنظر أن هذه الصورة بدأت تعود وتنتشر بقوة في السنوات الماضية ابتداء من سقوط الاتحاد السوفييتي والغاء الشيوعية كقوة في النظام الدولي، ثم زادت سيطرة على الرأي العام بعد حرب الخليج الثانية، ونالت قمة قسوتها بعد 11 سبتمبر 2001 (حادث مسكوك في فاعله إلى اليوم) وعندما وجد نوع من الموضوعية في بعض دوائر المنقذين رجعت معادلة مسلم يساوي إرهابي إلى ذاكرة الشعوب الغربية وحتى إلى أعمال وأقوال كثير من المنقذين. فنظرت المناقشة بين منققي العرب والشرق في إطار آراء فوكوياما عن تفوق الحضارة الغربية ونهاية التاريخ بفوزها على الحضارات الأخرى وآراء هنتنجن عن صراخ الحضارات، وأصبحت هذه الآراء عبارة عن لفظ مشترك وجدول لبناء النقاش في الثقافة الغربية الحالية مما يتضح لزميتها الفكرية أكثر من أي تطور في محاولة فهم الحضارات الأخرى ومنها الحضارة الإسلامية. ويقول المسلم الألماني الأصل، مراك هفمن، إن هذه نوعية التفكير وهو ينقش العبارة:

خطر أن نقل العالم الإسلامي على-Huntington- Fukuyama Syndrome إلى شبه حديقة الحيوانات أو منطقة قليلة الأهمية متميزة يتخلف وحماس وتعصب(14). ويحاول آخرون كسب التوازن وتحفيف المواجهة بفكرة حوار الحضارات، غير أن هذا الحوار يبني على مقاييس وقواعد منبثقة عن الحضارة الغربية ولا يخلو من فكرة تفوقها وهدف انتشارها، ومن أسباب انمو في استعمال الصورة المشوهة والأحكام المسبقة السيئة عن الإسلام في الغرب في المدة الأخيرة:

أولاً، تعاني المجتمعات الغربية من أزمة اقتصادية، اجتماعية وأخلاقية، مما أدى بكثير من المفكرين الغربيين إلى مناقشة الأزمات المعنوية بمعنى أن معظم السكان فقدوا قيمهم الاجتماعية وأنهم يهتمون بالقيم المادية ومتابعة مصالحهم الشخصية فحسب - من غير اعتبار للأثار والنتائج على المجتمع، ونشأت هذه

الظاهرة من عدم وجود قيم روحية. أما الكنيسة ودورها كضمان القيم الروحية والأخلاقية في الغرب، فقد فقدت الثقة عند الناس إما لأن تعاليمها غير عصرية، وإما لأنها عصرية جدا في تابعة الرأي العام وفي تغييرها المستمر لعقائدها الأساسية؛ فإذا أخذنا آراء الكنيسة حول تزواج زوجين من نفس الجنس نموذجا، وجدنا أن الكنيسة البروتستنتية وجزء الكنيسة الكاثوليكية أصبحت تبيح وتنفذ هذا الأمر، وهو أمر مستحيل تصوره قبل 50 سنة.

ثانيا، إن المجتمعات الغربية وجدت في الإسلام والمسلمين بديلا للشيوعية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي في وظيفة العدو الخارجي. تقول باحثة ألمانية، أندريا لوج، إن المجتمع الغربي يحتاج إلى صورة عدو خارجي لتحديد وتعريف هويته (15). أما الإسلام، فإنه يمثل هذه الوظيفة اللازمة للغرب في التاريخ، وتوجيه الرأي العام إليه بناء على الحكم المسبق المنتقل من الماضي أسلوب سهل والرجوع إليه متوفر.

وقد وصف العالم الألماني المشهور في علم الاجتماع، ماكس WEBER، في بداية القرن العشرين الميلادي ومع ظهور الشيوعية هذه الإيديولوجيا بإسلام القرن العشرين — مما يتضح سهولة التبديل.

ولا يوجد في هذه الظروف الاجتماعية وفي هذه الأزمات المعنوية مع عدم وجود حلول جذرية علاج أنسب من انعكاس مشاكل المجتمعات الغربية على الغير أو الغرب، والإسلام يمثل هذا الغير.

ونأخذ في هذا الصدد المناقشة حول المرأة في الإسلام نموذجا؛ فمن الملفت للنظر أن اهتمام الغربيين تركز من بداية الهجوم الفكري الاستعماري على المرأة في الإسلام وكم هي مظلومة وبغير حقوق ومصيق عليها بلباسها الغريب البخ. وتداع صورة مزيفة عن المرأة والعلاقات الاجتماعية في الإسلام. ولا يوجد بحث في مفاهيم وأحكام الإسلام بناء على المراجع الأصلية. وفي الحقيقة، يصرف هذا المنطق الأعوج عن التفكير العميق والمناقشة الجادة حول المرأة وواقعها في البلاد الغربية، وحول عدم التسوية في الحقوق القانونية والاجتماعية وتاريخ اضطهادها في الغرب؛ فينسى انعكاس صورة المرأة المظلومة في الإسلام وضع المرأة الغربية واستغلالها لأغراض مادية. وينسى أن المرأة في الغرب لم تكتسب حقوقها المدنية الأساسية، مثل حق المشاركة في الانتخابات، وحق التعليم العالي وحق التصرف على أموالها بغير وصى إلا بعد معركة مستمرة وفي بداية القرن

العشرين فقط. هذا بالنسبة لواقع المسلمين في الغرب من حيث الصورة المهيمنة التي تحكم معاملة غير المسلمين لهم. ولا بد أن الافتتاح بالإسلام من قبل شخص شرب هذه الصورة المشوهة مع حليب الأم عبارة عن تجاوز عراقي كبير وعقبات كثيرة.

ب - تجاوز الأحكام المسبقة

من الثابت في النصوص الشرعية أن الإنسان يولد على فطرة الإسلام. قال تعالى: فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم (الروم 30) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودونه أو ينصرانه أو يمجسانه" (16). وعلى ما الأساس، نجد أن المسلمين الجدد يفضلون اسم "الراجع" على كلمة "الداخل" (convert/revert). للإسلام يعني الراجع إلى الإسلام كدين الفطرة ومن الثابت أيضاً أن التساؤلات في الكون ومن خلقه وما كان قبل الحياة وما سيكون بعد الموت وهدف الحياة تساؤلات متنبئة عن هذه الفطرة. وبالتالي، نجد نماذج للباحثين عن الحق في التاريخ الإنساني بأكمله. غير أن من الواقع الاجتماعي في الغرب أن هذه الفطرة مغطاة ومغيرة بعوامل كثيرة (الاهتمام الكبير بعالم الغرائز والشهوات: أفلام، ألعاب، موسيقى، الجنس، الثروة المادية...) وهذه الأمور تبعد الإنسان عن التأمل والتفكير في بيئته ومن خلقها، وما هدف حياته وما بعد الموت؟ فلا بد من عوامل تساعد على إزالة هذا الغبار وتجاوز هذه العرقلة الرئيسية.

وكثيراً ما بدأت هذه العملية بنقد المجتمع من خلال البحث عن الحق في بعض القضايا: كالتركيز على القيم المادية مثلاً، أو العنصرية، أو استغلال المرأة لأهداف مادية، أو التناقضات في العقائد المسيحية أو عدم تطبيق التعاليم المسيحية من قبل مؤسسة الكنيسة وغيرها من التناقضات التي تنسب بها المجتمعات الغربية. غير أن هذا النقد يبقى بلا تغيير جذري أو هدف لعدم الجواب الصحيح: ولعل ترك المسيحي بيئته تماماً أو تدينه ظاهرياً وأنكر عقيدة التثليث باطنياً، ولعل المرأة الواعية باستغلال النساء تختار أن تصارع لتحرير المرأة. ولعل فقدان الروحانية يؤدي إلى التوجه نحو فلسفات أسبوية. فلا بد من نقطة احتكاك تربط بين الإنسان المتأمل الباحث وبين الإسلام كجواب صحيح.

ويتبين من خلال السير الذاتية لبعض المسلمين الجدد أن هذه النقطة يمكن أن تتجسد في احتمالات متنوعة: فيمثل السفر إلى البلاد الإسلامية نقطة احتكاك ممكنة نظرا لكثرة السواح الغربيين، والكثير وجد الطريق إلى الإسلام من سماع الأذان وتلاوة القرآن ومشهد صلاة الجماعة. أما في الغرب ذاته، فيساعد التعرف على فرد مسلم أو مسلمة في إطار العمل أو الدراسة أو مكان من الأمكنة، وعلاقة شخصية متواصلة أو لمحّة/حادثة معين مع مسلم على إلغاء أو الشك في الآراء المسيقة. ويتناول هذا الاحتمال أيضا الزواج بين مسلمين وكنائيات في البلاد الغربية كفرصة للتعرف على الإسلام. ويبدو أن المثل الحسن والصحيح لتطبيق الإسلام يؤدي في كثير من الحالات إلى دخول الإسلام، مما يثبت القول أن كل مسلم وكل مسلمة في الغرب بمثابة سفير لدينه.

و من الثابت في التاريخ أن بلدانا كثيرة أسلمت بناء على قوة حسن المثل والمعاملة، إذ دخل الإسلام إندونيسيا وإفريقيا جنوب الصحراء عن طريق تجار مسلمين، ولم تشهد تلك البلدان فتوحات عسكرية، وحسن إسلام أهل هذه البلاد.

وهنا لا بد من ملاحظة في هذا الصدد: وأنه كثيرا ما استندت الصورة المشوهة إلى واقع المسلمين أنفسهم وسوء أخلاقهم وسوء تطبيقهم للإسلام: ولكن هذا القول يصح جزئيا فقط. صحيح أن الظواهر السيئة موجودة ومتعددة، ولكن، أولا، لكل إنسان قدرة التغرير، وإذا وجد المثل السيئ، وجد المثل الحسن أيضا. ثانيا، انتشرت الصورة المشوهة في التاريخ والإسلام مطبق أحسن التطبيق.

و يبدو أن إدراك الإسلام في الغرب إدراك انتقائي سلبي بمعنى أن الرأي العام يدرك الجزئيات التي توافق أحكامه المسيقة السيئة ولا يدرك الجزئيات التي تعارضها، ولو كانت متجسدة لقواعد وأحكام الإسلام ومنبثقة عنها. وينحرف هذا الإدراك بالإنسان عن رؤية الصورة الصحيحة حتى وجد مخرجا من الرأي العام. ويبدو أن الاهتمام بالإسلام ازداد بعد حواث 11 سبتمبر، وسجلت المساجد والمراكز الإسلامية عددا كبيرا من المسلمين الجدد الذين جعلهم الحادث يبحثون لأول مرة عن حقيقة هذا الدين، وأعلنت المكتبات في الغرب أن ترجمات معاني القرآن قد بيعت تماما لكثرة الاهتمام والرغبة في البحث. وسمت الباحثة Jocelyne Cesari الفرنسية (17). هذا جذب الانتباه بـ"عامل بن لادن".

من أسلم من أهل العرب حديثاً - آراء وأفاق

أو وكيف إذا وجد الإنسان الطريق من هذا التأمل الأولي إلى الاعتقاد أن الإسلام هو الدين الحق والحل لعقده الكبرى ؟

فلا بد أن هناك عملية فكرية يسبقها البحث عن الإسلام وعقائده وثقافته والمقارنة بين واقع المجتمع الغربي أو تعاليم الدين المسيحي أو أي دين آخر وبين الإسلام. وكثيراً ما بدأ هذا البحث كبحث علمي والقراءة لترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأوروبية كبحث في مقارنة الأديان.

و يعلن كثير من المسلمين الجدد أن ما أدهم إلى الاعتقاد بالإسلام أمور منها:

1- أنه لا يوجد في الإسلام تناقض بين العقيدة والعقل، وأن عقيدة التوحيد في الإسلام واضحة بلا تشويه.

2- أن الإسلام يتمثل بعقيدة ونظام للتطبيق، أو بإيمان وعمل، وأنه لا يبقى فلسفة نظرية.

3- أن الإسلام يوافق القطرة.

4 - أن الإسلام لا ينقصه شيء، وأنه لا يحتوي على أي شيء لا ضرورة أو سبب له.

5- أن الإسلام رسالة عالمية هادفة في أي مكان وزمان.

ويقول محمد أسد، المسلم النمساوي الأصل المشهور في سبب دخوله الإسلام: لماذا اعتنقت الإسلام؟ يجب أن أعترف بأنني لا أعرف جواباً شافياً، لم يكن الذي جذبني تعليماً خاصاً من التعاليم، بل ذلك البناء المجموع والعجيب والمنزلي بما لا نستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الخلقية بالإضافة إلى مناهج الحياة العلمية. لا أستطيع أن أقول: أي النواحي قد استهواني أكثر من غيره. فإن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة، وكل أجزاءه قد صيغت ليتم بعضها بعضاً، ويشد بعضها بعضاً، فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هناك نقص في شيء ففتح عن ذلك كل اختلاف متزن مرصوص. ولعل هذا الشعور من أن جميع ما أتى به الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت مواضعها هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي. (18) والإنسان في الإسلام غير مجبر على أن يرفض الدنيا، وليس ثمة حاجة إلى تكشف يفتح به الإنسان باباً سريراً إلى النهر الروحي، فالإسلام

ليس عقيدة صوفية ولا هو فلسفة ولكنه نهج في الحياة حسب قوانين الطبيعة التي
سناها الله لخلقها. (19)

ج - تبادل الحضارة:

أولاً: ردود أفعال في المجتمع

يبدو أن نطق الشهادتين نتيجة طبيعية بعد فترة البحث والتساؤل
والمناقشة. وتبدأ هذه العملية كتغيير نفساني داخلي بغير أو قليل من الانتباه أو
الاهتمام من قبل البيئة المحيطة. غير أن تطبيق الأحكام الأساسية من طرف
الشخص تظهر التغيير الجذري الذي وقع: للتغيير في السلوك الشخصي، التوقف
عن تناول المحرمات: لحم الخنزير والخمر خاصة، يلفت أنظار العائلة والزملاء
والأصدقاء. ويتم بنطق الشهادتين وتطبيق الإسلام في الحياة اليومية الخروج من
العقيدة والحضارة والثقافة السابقة وبيدأ الدخول في حضارة وثقافة أخرى .

ولقرار تبادل الدين والحضارة نتائج متجسدة في ردود أفعال البيئة
المتمسكة بأحكامها المسبقة والتي لم تتم ولا تفهم هذا التطور. ويتبين من روايات
المسلمين الجند أن ردود أفعال هذه تختلف وتتوحد من تجاوزات مادية إلى قطع
العلاقة إلى مناقشات أو عدم العناية أو تدعيم أو العناية بمبادئ الإسلام
والاقتناع به. ونجد ردود أفعال البيئة ما بين قطبين: الرد العنيف

والمقاطعة، أو دخول الأقرباء الإسلام. (20)

ورغم أن مثل اللورد البريطاني الذي أعلن عن إسلامه في بداية القرن
العشرين (1913)، اللورد هنلي، استثناء في اختفاء هذا القرار، فإنه لم يعلن إسلامه
لمدة 50 سنة خوفاً من رد أسرته المربوطة بجنورها المسيحية (21)، فيحتاج المسلم
الجديد إلى مدة معينة ليبيان هذا القرار أمام نفسه وأمام الآخرين: فوجدت من بين
السير الذاتية رواية قيس سابقا، الدكتور دركن، الذي اعتنق العقيدة الإسلامية
لمدة وقضى الصلاة والصيام، ولكن، لما سئل إذا كان مسلماً، أجاب بأنه يؤمن بالله
ومحمد صلى الله عليه وسلم رسولا، ولكنه ليس بمسلم.

و إنما نموذج مسيحي غير معتاد وظل ضمن هذه الحيلة النفسية حتى زار
الأردن — ولما سئل في الشارع: هل أنت مسلم؟ وهو غير متمكن من العربية، بقي
له الاختيار بين "نعم" و"لا" فقط، وأيقن من جوابه "نعم" وفي عدم وسائل لغوية
وحيل نفسية أنه كان فعلاً مسلماً (22).

ظل المجتمع الغربي متعجبا ومستغربا في وجه كثرة الغربيين الذين دخلوا الإسلام في السنوات الماضية، وخاصة النساء منهم، ووجد الموضوع اهتمام بعض دوائر البحوث العلمية، وهدفها، كما يبدو، تصنيف الظاهرة وإعطاء اسمها العلمي ومكانها في جدول ظواهر العصر، فتحاول الإجابة عن هذه الظاهرة الاجتماعية ضمن المقاييس العلمية الغربية. هذا في إطار العلم(23). أما في إطار المجتمع، فيجد المسلم الجديد نفسه في مكان الغريب في المجتمع الذي كان جزءا منه، وكثيرا ما يرى المجتمع الغربي المسلمين في حدود بلادهم نائبا عن العدو الخارجي ومعاونا له، واستعملت عبارة "الجيش الخامس" للمسلمين المقيمين في الغرب، عبارة تاريخية نقلت للشيوعيين الداعيين لهجوم النظام الرأسمالي في الغرب منذ نشأة الاتحاد السوفييتي.

وإضافة إلى ذلك، يعد المسلم الغربي الأصل في ذهن الجماعي الغربي حائنا للحضارة الغربية. وتقول مسلمة ألمانية الأصل في سيرتها الذاتية: "لم تعد ألمانيا وطني منذ اعتناقي الإسلام ديناً".(24) ويجد المسلم الجديد العوض في الطريق إلى جماعة أخرى — وهي الأمة الإسلامية وعالم أفكارها. يقول د. دركس: "إن من أسلم حديثا سوف يجد، بإذن الله، التضحية المتوقعة وغير المتوقعة ثمنا قليلا للعوض الذي يكتسب بها".(25)

ثانيا. التنقّف في الدين الإسلامي

يقضى الاعتقاد بالإسلام تعلم المبادئ الأساسية من اليوم الأول: ابتداء من العقائد وأحكام الطهارة وفقه العبادات واكتساب المعلومات الضرورية لقضاء الفروض، مما يتطلب جهودا كبيرة. ويتناول هذا التبادل للحضارة إمكانيات كبيرة وأخطار في نفس الوقت: أما الإيجابيات، فيستطيع المسلم الجديد تعلم معاهيم الإسلام صافية بلا تشويه أو انحرافات تقليدية، ونظرا لكونه في عملية فكرية حيث بدأ طريقه إلى الإسلام عقليا، لن يرضى بأي كلام بغير دليل. وإذا كانت هذه العملية ناجحة من حيث أخذ التعاليم الصحيحة وتطبيقها، فينتج عنها مسلم واع وملتزم بإذن الله. بقيت مشكلة كيفية وأساليب التنقّف: وكيف يتعلم هذا الإنسان مفاهيم دينه الجديد حتى يتقنها إلى مستوى يمكنه من بداية جديدة؟ إذ أن مفاهيم الإنسان هي التي تحكم سلوكه؟

مشكلة اللغة:

يكون المسلم الجديد المثقف والمتربى على الثقافة الغربية ولغاتها وأساليبها بطبيعة الحال غير متمكن من اللغة العربية التي هي مفتاح الفهم الدقيق. فيكون مضطراً للتوقف في لغته الأصلية. ويشتمل هذا الواقع على إشكالين: أولاً، معظم المراجع المكتوبة باللغات الأوروبية حول الإسلام يتألف غير المسلمين، وبالتالي، تختلف وجهة نظرها عن الرأي الإسلامي أو تنقص الموضوعية أو تعرض أفكاراً مغلوطة. وإن كثرت المراجع يتألف المسلمين في السنوات الأخيرة نظراً لكثرة الاهتمام بكل اللغات الأوروبية (و خاصة الإنجليزية التي أصبحت اللغة الثانية للمسلمين في العالم لعدد المسلمين الناطقين والمؤلفين بها)، فيحتمل قراءتها إشكالاً، لأن كل لغة تعكس تاريخ ومفاهيم الناطقين بها، وإن ترجمة تلك المعاني من لغة وثقافة إلى لغة أخرى تفقد أصالتها.

وإن كان فهم غير الناطق باللغة العربية المكتسب بواسطة لغة أخرى صحيح وسليم في المبادئ، وإن كان ترجمة وشرح العقيدة الإسلامية معكن في كل اللغات البشرية ليساطتها ووضوحها ولكون رسالة الإسلام رسالة عالمية، فيبقى الفهم في كثير من الحالات التي تتطلب الدقة بمعزل عن كثير من الفرائض والصلات الثقافية الطبيعية التي تكون الفهم الشامل، ولو ظلت تلك الفرائض غير معتبرة وبتنظر الإحياء، ولكن الوسيلة إليها والمفتاح لفهمها موجود بواسطة اللغة العربية. فيشبه تحويل المفاهيم الإسلامية من اللغة الأصلية، لغة الوحي، إلى لغات غير المسلمين عمل المصفاة أو الغزيلة التي تسمح لبعض المعلومات بالخروج وتمسك بعضها الآخر وتفقدتها للقارئ.

وهذه المشكلة محسومة بالنسبة للمسلم غير الناطق بالعربية مثل الفارسي أو التركي أو الباكستاني أو الماليزي — مع الفرق المحسوس أيضاً لن لغات هؤلاء تغيرت منذ دخول تلك الشعوب الإسلام بعملية الاندماج إلى الأمة الإسلامية، واستعارت كثيراً من العربية من الألفاظ والمصطلحات مما يسهل للناطقين باللغات التركية والفارسية والأردنية والماليزية الوسيلة إلى فهم أرق من الفهم المكتسب بواسطة اللغات الغربية. وساهمت الشعوب غير العربية في بناء الحضارة الإسلامية بعد عصر الفتوحات، مما ترك أثراً في لغاتهم وفي اللغة العربية أيضاً. أما اللغات الغربية، فظلت وسيلة التعبير لحضارة غير الحضارة الإسلامية. وساهمت في تاريخ غير التاريخ الإسلامي، ونجدها بطبيعة الحال ناقصة للتعبير

المناسب عن بعض المفاهيم والأفكار والألفاظ والاصطلاحات. إن الصعوبة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات أجنبية معروفة، ومن أسباب ذلك أن اللغات غير العربية لا تعادلها في قوة تعبيرها وثروة ألفاظها.

وهل طرحت مشكلة المسلمين الجدد في تبادل المفاهيم الأساسية التي تبني عليها الحضارة في التاريخ؟ في الحقيقة، سجل التاريخ عددا كبيرا من المسلمين الجدد من أصول وجنسيات وأديان ولغات مختلفة في عصر الفتوحات، ولم ينقل إلينا أن هؤلاء وجدوا صعوبات في اكتساب المفاهيم الجديدة، ولكنهم، بالعكس، اندمجوا في الحضارة الإسلامية ولقنوا العربية مثل أبناء جلدنا بعد قليل. واندمج الفرس والأمازيغ والنوبة والروم في الأمة الإسلامية الناطقة بالعربية.

ولعل هناك آلية أصيلة للحضارة الإسلامية عبارة عن أفكار أو أحكام أو نظم معينة تسهل عملية الاندماج، ونستطيع الاستفادة منها لحل المشكلة المطروحة؟ إن هناك فرق جوهري بين ماضي من أسلم في إطار الفتوحات ومن أسلم من الغربيين اليوم. تميزت الفتوحات ببناء مجتمع جديد بفعالية العقيدة الإسلامية، وتغيرت البيئة المحيطة وواقع الحياة بالنسبة لهؤلاء. فقد نفذ الإسلام شاملا، وأخذت اللغة العربية مكان وسيلة التنقف، وساعد نظام المولى كثيرا على اندماج الشعوب في الأمة الإسلامية: فمن أسلم على يد رجل أصبح مولاه، ومن أصبح أسير لرجل أصبح مولاه، وكان من وظائف المولى تعليم وتنقف هؤلاء (26).

واندمجت الشعوب بالمصاهرة. حدث هذا الاندماج وبدون أن تفقد الشعوب طبائعها وصفاتها السابقة من لغة وبعض الأشكال المدنية التي لا تعارض الإسلام ديناً

غير أن من أسلم في الغرب حديثا ليس له مولى، ولم تتغير بينته: فلا بد من مبادرة نفسه حتى يجد الطريق من عالم معلومات الكتب إلى المسلمين ومساجدهم ومراكزهم في الغرب، ولا بد من معلم مناسب يساعد على إزالة الإشكاليات في الفهم والتطبيق. وفعلا، تعرض بعض المساجد برنامج الإشراف على المسلمين الجدد، بمعنى أن لكل من أسلم حديثا مشرف تابع للجماعة الإسلامية. وإضافة إلى ذلك، أصبح الإنترنت عبارة عن سوق حيوية لتبادل المعلومات وكسب معارف جديدة مما يسهل الطريق إلى التنقف. فإذا قارنا الواقع التاريخي بواقع من أسلم في الغرب من حيث عوامل الاندماج والتنقف، لم يبق لنا

إلا رسالة الإسلام الخالدة وفعاليتها في نفس الإنسان والإشراف نائباً عن أساليب الماضي، مما سوف يؤدي إلى فرق محسوس من حيث النتيجة.

وأما/أخطار التنقّف بالنسبة للمسلمين الجدد، فتتعلق بواقع المسلمين بصفة عامة وبالأقلية المسلمة المقيمة في الغرب بصفة خاصة. وكون المسلمين الجدد جزءاً من هذه الأمة يجعلهم مشاركين في مشاكلها وصفاتها الحسنة منها والسبئية في مفاهيمها الصحيحة والمغلوظة في نهوضها وانحطاطها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر" (27). بالتالي، لن تجد مشاكل هذا العضو أو هذا الجزء للأمة حلاً حقيقياً إلا بمعالجة الجسد أو الأمة ككل.

ويقدر ما نجد وباء القومية والعصبية منتشراً في هذه الأمة، ويقدر التفريق بين البلاد الراقية مادياً والبلاد الأخرى، وما ينبثق عن هذا التفريق من عقدة التفوق والتقصان، يقدر ما تعانيه الأمة من مشاكل اجتماعية وفكرية، يتميز المسلمون الجدد بآثارها. ولعل لم الإحساس بتفوق الغربيين لم يزل في قلوبهم، ولعل الشعور بأنهم ينفصلون عن المسلمين المقيمين في الغرب وأن مكانهم في المجتمع مكان أقلية محتقرة متهمّة بالتخلف، ولأنهم لا يريدون أن يعتبروا أنفسهم جزءاً منها متصف بصفاتهما. وأثار هذه العقدة موجودة في بعض المؤلفات: فيشكي مراد هفمن مرارا وتكرارا من المظاهر الشرقية للمسلمين المقيمين في الغرب من لحية وجلابيب ومن عدم موافقة ملابس المسلمين للتفوق الغربي، واستعمال اصطلاحات عربية في الكلام اليومي من سبحان الله إلى ما شاء الله: وتجعل هذه الظاهرة، في نظره، الإسلام دين العرب في وجهة نظر الغربيين (28).

ونظراً لإدراك الإسلام كدين أقلية مهاجرة قادمة من العالم الثالث، وبالتالي كمشكلة من مشاكل الهجرة، نشأت محاولات لتفريق إدراك الإسلام من إدراك المهجر، مما أدى إلى تأسيس جمعيات ومراكز للمسلمين الجدد بناء على جنسياتهم (29). ورغم أن تبادل الأفكار والتجربة بين المسلمين الجدد يبدو طبيعياً من حيث الخلفية الاجتماعية المشتركة ومن حيث الاحتياجات المنبثقة عن وضعيتهم الخاصة، يظهر خطر التكتل على أساس قومي في وجه الجهود لإبداع إسلام أوروبي مقابل ما يصف بعض الباحثين بالإسلام العربي والإسلام التركي والإسلام الآسيوي. ويفهم من مشروع الإسلام الأوربي محاولة لتسجيم الفكر

الغربي منهاجا ومنتجا بالإسلام وجعل الإسلام ديننا حسب المفهوم الغربي: دين مجرد عن التطبيق وميياً لتغيير وتبديل مبادئه مع تغيير الرأي العام.

ونضيف إلى قائمة الأخطار التنكف على أيدي غير المسلمين في الكليات الاستشراقية، وبخص هذا الإنكسار أو كالمعيارين والمسلمين الجدد، إذ يجنبهم مظهر التعليم الأكاديمي مع عدم إمكانات أخرى. وتترس تلك المراكز الإسلام بواسطة أساليب ولأهداف غير إسلامية، وتتنظر إلى المسلمين نظرة الباحث إلى حشرات غريبة تحت المجهر، ولعلها تخرج الشاب المسلم بنظرة غريبة عن دينه.

وهناك أيضا مشكلة عدم التفريق بين الدين وتقاليد منتشرة، مثل ما هناك من مشكلة البقاء في ثقافة الغرب منهجيا وفكريا. وأنا لا أقصد التمسك بأشكال عنية لا تعارض الإسلام، إذ تتفاعل العقيدة الإسلامية في الأنفس وإن تكون هذه العملية إن صحت شخصية تحكم على بيئتها وتترك ما عارض الإسلام وتختار ما يوافقها بناء على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وإنما أقصد من ظل في عالمه الفكري السابق ولم يغير أسس تفكيره مبدئيا: فقد أعلن جارودي بعد إسلامه مثلا: دخلت الإسلام وبأحدى يدي الإنجيل. وباليد الأخرى كتاب رأس المال لماركس، ولست مستعدا للتخلي عن أي منهما. (30) مما يدل على عدم عملية التفاعل عند.

د - خاتمة

أما هدف التنكف في الإسلام، فلا يكون غير الانسجام مع الأمة الإسلامية وخدمتها: فمن أسلم من الغربيين له مسؤولية أمام رب العالمين مثل باقي أجزاء هذه الأمة، وله مسؤولية في تعلم مبادئ هذا الدين مثل من تربى عليه، وكثيرا ما يعترض عملية تنكف بدأت عند من تربى على هذا الدين في مرحلة الطفولة والتي استمرت لسنوات في مدة وجيزة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تجدون الناس معان، خيارهم في الحاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" (31). إن لمن أسلم حديثا مسؤولية لمصير ومستقبل هذه الأمة مثل أجزائها الأخرى، ولا يوجد فرق بين هؤلاء وأولئك إلا في التقوى. قال تعالى: وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.

الهوامش

- (2) مع الملاحظة أن كثيرين من السكان الأصليين، وهم الهنود، كانوا مسلمين حسب بحوث جديدة كما تبين بالإسلام كثير ممن أخذ عنوة من القارة الإفريقية ونقل إلى أمريكا كعبداً. انظر في هذا الصدد:
Enslaved in the Americas. New Sylvaine Diouf: *Servants of Allah: African Muslims*
York University Press, 1998.
- Fareed H. Numan: *American Muslim History: A Chronological Observation*
<http://www.islam101.com/history/cherokee.htm>
- [http://www.suite101.com\(3\)AnayatDurrani: The search for truth](http://www.suite101.com(3)AnayatDurrani:The%20search%20for%20truth), April 1999.
- Times. (4)Yusuf Estes: Back to Islam? Reverts to Islam in Modern
<http://www.islamtomorrow.com/index.html>
- (5) أنور الجندي: افق جديدة للعودة الإسلامية في عالم الغرب. مؤسسة الرسالة، بيروت.
[http://www.geocities.com/anjashbuchAnja's Book](http://www.geocities.com/anjashbuchAnja's%20Book).
<http://www.welcome-back-org>
<http://www.convertstoislam.com/Stories/stories.html>
<http://www.algonet.se/ulwur/reverts/index>
- (6) أنظر مثلاً: عبد القادر طائش: صورة الإسلام في الإعلام الغربي- القاهرة، 1993.
- Sigrid Hunke: *Allah ist ganz anders. Enttuehlung von 1001 Vorurteilen ueber die Araber*. Muenchen, 1990.
- Jochen Hippler/ Andrea Lueg: *Feindbild Islam*. Hamburg, 1993.
- Maxime Rodinson: „Das Bild im Westen und westliche Islamstudien.“
Bosworth/Schacht: *Das Vermaechtnis des Islam*, Tome I. Muenchen, 1983. P.23-81.
- 1979Edward Said: *Orientalism*. London.
- (7) طائش: صورة الإسلام، ص 40.
- Rodinson: *Das Bild im Westen*. P.33 (8)
- un peuple venu de (9) «...En effet, comme la plupart d'entre vous le savent déjà, Perse, les Turcs, a envahi leur pays. (...) Beaucoup sont tombés sous leurs coups, beaucoup ont été réduits en esclavage. Ces Turcs détruisent les églises : ils saccagent le royaume de Dieu. (...) Quelle honte, si un peuple aussi méprisé, aussi dégradé, esclave des démons, l'emportait sur la nation qui s'adonne au culte de Dieu et qui s'honore du nom de chrétienne ! (...) » Balard/ Demurger / Guichard : *Pays d'Islam et monde latin*, Paris, 2000. P.64-65. :
- Hunke : *Allah ist ganz anders*, P.15-21
- (10) طائش: صورة الإسلام، ص 50.
- (11) المصدر السابق، ص 67.
- (12) المصدر السابق، ص 42.
- (13) Edward Said : *Orientalism*. London, 1979
- (14) Hofmann : *Muslims as Co-Citizens of the West*
- (15) 8Andrea Lueg : *Feindbild Islam*, S.3

(16) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، رقم الحديث 1270

إن لبا فريرة رضي الله عنه كان يحدث قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن إلا يؤخذ على التطرة فلو أذ يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول لو عذ فريرة رضي الله فطرة الله التي فطر الناس عليها الآية.*

Jocelyne Cesari : *Der Bin-Laden-Effekt*, Zeitschrift fuer (17)Kulturaustausch 02.

<http://www.ifa.de>

(18) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق، اقتباس من: أنور الجندي: آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم العرب، مؤسسة الرسالة، ص 148.

(19) المصدر السابق، ص 350.

(20) انظر المراجع المذكورة تحت (5)

(21) أنور الجندي: آفاق، ص 139.

<http://www.welcome-back-org/profile/dirks5.html> (22)

(23) من أمثال تلك البحوث:

Monika Wohlrab-Suhr: *Konversionen zum Islam in Deutschland und den USA*.
Frankfurt, 1999.

Anja's book, Chapter 6 <http://www.geocities.com/anjiasbuch> (24)

surrendering to Allah, (25) "For those contemplating the acceptance of Islam and the glorified and exalted is He, there may well be sacrifices along the way. Many of these sacrifices are easily predicted, while others may be surprising and unexpected. There is no denying the existence of these sacrifices, and I don't want to sugar coat that pill for you. Nonetheless, don't be overly troubled by these sacrifices. In the final analysis, these sacrifices are less important than you presently think. Allah willing, you will find these sacrifices a very cheap coin for the goods you are <http://www.welcome-back-org/profile/dirks6/htmlpurchasing>."

(26) انظر : جمال جودة: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالى في صدر الإسلام، عمان، 1989.

(27) صحيح مسلم، كتابالزكوة والصلة والادب، رقم الحديث 4686

عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن كرجل واحد إن اشتكى راحة تدعى له سائر الجسد بالحنى والشير.*

Hofmann : *Muslims as Co-Citizens of the West*, (28)

(29) ومنها رابطة الألمان المسلمين المؤسسة سنة 1952 بهمبورج.

(30) عادل التل: جارودي بين المدنية والإسلام، دار البنية، بيروت، 1997، ص 33.

(31) صحيح البخاري: كتاب المناقب، رقم الحديث: 3234.

عن أبي فريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تجدون الناس معان خيارهم في لجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وتجدون خبير الناس في هذا الشأن أشدكم له كراهية وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه*